بسم الله الرحمن الرحيم

تأثير القرآن التربوي في الحوار التعليمي

سليمان بن علي الشعيلي

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد. فإن العالم اليوم يشهد توسعا معرفيا لم يسبق له مثيل، وتداخلا ثقافيا لا يعرف الحدود والحواجز، ولم يبق لهذه الثقافات المنتشرة في العالم، إذا أرادت مواكبة التقدم الحضاري والمعرفي، إلا أن تنفتح على غيرها مؤثرة بقوة مبادئها ومرونة تعاملها مع الآخر، وبدون ذلك لن يكتب لها البقاء.

والثقافة الإسلامية أصيلة في مبادئها ثابتة في فكرها ومعتقدها مرنة في تعاملها مع مستجدات الحياة، وفق هذه المبادئ والمعتقدات. ولذا فهي قادرة على الأخذ والعطاء وعلى المناقشة والحوار ـ مع باقي الثقافات التي يكتظ بها العالم اليوم ـ دون إفراط أو تفريط.

بيد أنه من الضرورة بمكان أن يحمل هذه المبادئ والمعتقدات أناس من أهلها تشربوا ثقافة الحوار وآدابه وأصوله منذ صغرهم، وتربوا على قبول الحق وطلبه، وخلصت نياتهم واتسعت عقولهم للرأي المخالف. ولن يكونوا كذلك إلا إن كان الحوار طريقة تربوا عليها في البيت أولاً وفي المدرسة ثانياً ثم في الجامعة والمجتمع ثالثاً. والقرآن الكريم، المصدر الأول لهذه الثقافة، قد اتسعت فيه دائرة الحوار بكل أشكالها وصورها، واستعمله كوسيلة للدعوة والتفاهم والتعليم. ولما كانت طريقة الحوار في التعليم هي الأقرب إلى ترسيخ الحوار كثقافة ينشأ عليها الناشئة المسلمة، وأن يعايشوه واقعا ملموسا منذ نعومة أظفارهم، كانت الحاجة ماسة إلى تأصيل هذه الثقافة، من خلال النظر إلى آيات القرآن الكريم، وإلى الأحاديث الشريفة التي استخدم فيها النبي عليه السلام طريقة الحوار لتفهيم أصحابه وتعليمهم ما يهمّهم من أمور دينهم. بهذا نكون قد ساهمنا في سد باب كبير من أبواب التفرق والخلاف بين الأمة. ومن هذا المنطلق تأتي أهمية البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما أهمية الحوار في وحدة الأمة وقوتها؟

كيف رسّخ القرآن الكريم طريقة الحوار كوسيلة للدعوة والتعليم والتفاهم واحتواء الخلاف؟

ما أهمية طريقة الحوار في التعليم وما أثرها التربوي؟

وقد سعت الدراسة للإجابة عن الأسئلة المطروحة فجاءت في ستة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الحوار.

المبحث الثاني: أهمية الحوار.

المبحث الثالث: دواعي الحوار وقواعده.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

المبحث الرابع: الحوار في القرآن الكريم وأهدافه.

المبحث الخامس: طريقة الحوار وأهميتها في التعليم.

المبحث السادس: حوار الآباء مع الأبناء وآثاره التربوية.

ثم في آخر البحث ذكرت الخلاصة. أسأل الله تعالى التوفيق والسداد في القول والعمل وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، والله وليّ التوفيق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول: مفهوم الحوار:

المعنى اللغوي: "الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حَوْرًا ومَحَاراً ومَحَارَةً وحُؤُوْراً: رجع عنه وإليه... والحَوْرُ النقصان بعد الزيادة، لأنه رجوع من حال إلى حال، وفي الحديث: "نعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ"، معناه من النقصان بعد الزيادة. وقيل: معناه من فساد أمورنا بعد صلاحها، وأصله من نقض العمامة بعد لفها... والمُحَاوَرَةُ: المجاوبة، والتحاور: التجاوب،تقول: كلمته فما أحار إلي جوابا، وما رجع إلي حويرا، ولا حويرة، ولا محورة، ولا حوارا، أي ما رد جوابا، واستحاره، أي استنطقه"(١).

المعنى الاصطلاحي: "يراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي"(٢).

وبتعبير آخر هو "نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"(٣).

أما الجدل: فتشير أكثر معاجم اللغة إلى أنه يعني الخصومة والرغبة في الغلبة. جاء في **لسان العرب**: "أن الجدل يعني اللّدد والخصومة والقدرة عليها، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالا، والاسم الجدل وهو شدة الخصومة"(٤). واستعملها القرآن في المعارضة على أمر قائم أو رد فعل لمعارضة سابقة(٥). ولهذا فعند الإطلاق تدل على معنى سلبي، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾(٦)، وقول النبي عليه الصلاة والسلام: "ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل"(٧)، وإذا اضطر إلى الجدال فيكون بالتي هي أحسن، ﴿**وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ**﴾(٨).

وعليه يكون الفرق بين الجدل والحوار أن الأول ينحي منحى الخصومة والمنازعة والمغالبة(٩)، بينما

١- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: حور، ٢: ١٠٤٢.

٢- صالح بن حميد، **أصول الحوار وآدابه**، دار المنارة للنشر، جدة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ٧.

٣- المغامسي، **الحوار: آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية**، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط ٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٢١، نقلا عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي في **أصول الحوار**، ص ١١.

٤- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة جدل، ١: ٥٧١.

٥- سعيد إسماعيل صيني، **الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين**، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، جدة، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٦١-٦٢.

٦- سورة الزخرف، الآية: ٥٨.

٧- **سنن الترمذي**، كتاب التفسير، باب: ومن سورة الزخرف، رقم ٣٢٥٣.

٨- سورة النحل، الآية: ١٢٥.

٩- انظر: الراغب الأصفهاني، **المفردات**، تحقيق صفوان داودي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٨٩.

يقتصر معنى الثاني على مراجعة الكلام، ففي قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾(١٠)، فالآية تفيد بأن الحوار ـ عند إطلاقه ـ قد يضم حوارا وجدالا في آنٍ واحد. كما أن المجادلة إن اطلقت تتسم بالإلحاح والإصرار، أما الحوار إذا أطلق فلا يتسم بذلك، فهذه المرأة كانت تجادل (تحاور بشدة) الرسول عليه السلام وتشتكي إليه زوجها، بينما كان هو عليه السلام يحاورها (بلطف) ليقنعها بالصبر والتسامح مع زوجها الذي هو ابن عمها. وأيضاً يمكن أن يقال: إن حديث المرأة عن زوجها خصومة، وحديثها مع النبي عليه السلام مراجعة في الكلام(١١).

المبحث الثاني: أهمية الحوار:

شاءت إرادة الله تعالى أن يخلق الناس مشتركين في أشياء كثيرة بالفطرة، وجعلهم يختلفون في أشياء أخرى ليدفعهم إلى التنافس والتعاون والتكامل من أجل تحقيق أقصى حد من السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(١٢). قال الرازي: "المراد افتراق الناس في الأديان والأخلاق والأفعال"(١٣).

معنى الآية: أن الله لو شاء لخلق الناس كلهم على نسق واحد واستعداد واحد، نسخا مكرورة لا تفاوت بينها ولا تنوع فيها، ولكن هذه ليست طبيعة الحياة، ولا طبيعة المخلوق البشري على هذه الأرض كذلك.

لقد شاء الله أن تتنوع استعدادات هذا المخلوق واتجاهاته، وأن تكون له حرية الاختيار ثم بعد ذلك يتحمل تبعة اختياره فيجازى على اختياره الحق أو اختياره الباطل. وبذلك تتجلى حكمة الله في الخلق وفي الجزاء(١٤).

وعليه يكون الاختلاف فطرة فطر الله الناس عليها، وفي الوقت نفسه هو ضرورة حضارية لعمارة الكون وبناء حضارته. ولن يكون كذلك إلا إذا كان الاختلاف اختلاف تكامل وتنوع، لا اختلاف تضاد وتنازع. ولا يكون الثاني إلا عندما يعجز البشر عن إيجاد نسق مشترك يجمع عليه أهل الاختلاف. وهنا يأتي دور الحوار الذي يضع المسلمات نقطة انطلاق لاحتواء الخلاف، وهو بذلك يخلق مساحة مشتركة يجمع فيها الخصمان للنظر في الأمور المختلف فيها. على أنه لا يطلب من الطرف المخالف مغادرة موقعه وإنما هو لتقريب وجهات النظر وتضييق شقة الخلاف، كما يحقق حاجة الإنسان في التواصل مع الاحتفاظ باستقلالية الفكر والرأي.

وتزداد أهمية الحوار في ظل تعدد الثقافات وتنوع وسائل الاتصال واتساعها، ولا شك أن القدرة على الحوار هو سر بقاء الثقافات وانتشارها في العالم المتحضر.

"إن عظمة أية ثقافة في انفتاحها، وقدرتها على تأصيل مفهوم الحوار والنقد في مسيرتها، فثمة أشياء ومعارف عديدة يتم الاستفادة منها من جراء الانفتاح والتواصل والحوار. والثقافة التي تصطنع الانفصال

١٠- سورة المجادلة، الآية: ١.

١١- صيني، **الحوار النبوي**، ص ٦٣.

١٢- سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.

١٣- الرازي، **التفسير الكبير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ١٨/ ٦١-٦٢.

١٤- انظر: الزمخشري، **الكشاف**، تحقيق محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، ٣/ ٦٠، سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط ٢٥، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ٤/ ١٩٣٣.

والانغلاق تبتر التاريخ وتقف موقفاً مضاداً من الوعي التاريخي. كما أن الثقافة الحوارية، هي المهاد الضروري إلى التقدم الاجتماعي والسياسي والحضاري. إن الحوار قيمة إسلامية وحضارية، أرساها النص القرآني، وعمل المسلمون على ضوئها وهديها في علاقاتهم الداخلية ومع الآخرين. الحوار ـ كما يعبر ـ قبل أن يكون أطراً وهياكل، هو روحية واستعداد نفسي، يرتبط بوجداننا وقيمنا الإسلامية، التي أسست لهذا الخيار في كل جوانب وشؤون حياتنا. لذلك فهو لا يستهدف شيوع حالة الفوضى في الآراء والمواقف، وإنما تضييق مساحات الخلاف والنزاع، وإبراز عناصر الوحدة والائتلاف. فمن ساحة الحوار تنتج الوحدة وتتعمق موجباتها، وبالحوار تضمحل الخلافات وتزول أسباب الصراع العنفي"(١٥).

"الحوار وسيلة للتفاهم لا غنى عنه، ووسيلة للتعاون والتنسيق بين الجهود المتفرقة والطاقات المتبعثرة، هو نوع من المشورة بين المسلمين لتحقيق المصلحة العامة، ويسهم في تنمية المعرفة وتنقيتها، ويسهم في إيجاد الحل الوسط الذي يرضي الأطراف المختلفة، وفي التعرف على وجهات نظر الأطراف الأخرى، وهو كذلك يحقق التعايش السلمي بين الأمم والشعوب ويحقق لهم المصالح المشتركة"(١٦).

"إن أخطر ما في غياب الحوار أنه يقود إلى مزايدة خطرة بين الرأي والرأي المعارض ـ حتى في الدولة الواحدة ـ لا تنتهي إلا بالصدام. ولو كان هناك حوار حقيقي، وأخذ وعطاء، وحلول وسط، لزالت ظاهرة المزايدة، وما تؤدي إليه من تصعيد، ليحل محلها خطاب وسطي معتدل"(١٧).

ولئن كان الحوار مع الآخر مهمّا سواء كان الآخر مسلما أم مشركا أم من أهل الكتاب، فإن الحوار مع الذات لا يقل أهمية، وأقصد به حوار الإنسان مع نفسه ومراجعته لأفكاره وتصرفاته، والوقوف معها وقفة تأمل وتصحيح. فالمسلم قبل أن يحاور الآخر لا بد أن يتفاهم مع نفسه ويتصالح معها، يأمرها بالخير ويدرّبها عليه حتى تنشط له ويزجرها عن الشر ويحاسبها على فعله حتى تنصرف عنه، كما ورد عن الحسن البصري رحمه الله: "إن المؤمن ما تراه إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلمتي هذه؟ ما أردت بأكلتي؟ وما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قدما ما يعاتب نفسه"(١٨).

هذا النوع من الحوار، يشكل رقابة ذاتية على النفس، فينقيها ويطهرها مما قد تؤاخذ عليه من قبل الآخرين، وبالتالي تنطلق في حوارها مع الآخر بثقة وطمأنينة وإيمان بالخير والمصلحة، وحرصا على الوحدة والجماعة. وبهذا يكون الحوار مع الذات منطلقا للحوار مع الآخر.

المبحث الثالث: دواعي الحوار وقواعده:

عندما تتباين وجهات النظر وتختلف الآراء، يكون الحوار أهم وسائل احتواء الخلاف وتقريب وجهات النظر المتباينة، بيد أن هناك دواع أخرى للحوار لا تقل أهمية عما ذكر، أهمها:

أولاً: تصحيح بعض التصورات الخاطئة عن الكون والحياة والإنسان وفقا للتصور الإسلامي

١٥- محمد المحفوظ، حوار أجري معه بتاريخ ١٤٢٨/٨/١٠، موقع **alnnabaa. Org**

١٦- صيني، **الحوار النبوي**، ١٦٢.

١٧- غازي عبد الرحمن قصيبي، **أمريكا والسعودية**، المؤسسة العربية للصحافة والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ١٢٨.

١٨- الحسين بن مسعود البغوي، **معالم التنزيل**، (تفسير قوله تعالى: ...**وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**) سورة القيامة، الآية: ٢، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، موقع: (www.altafsir.com)

الصحيح.

ثانياً: دفع الشبهات وتوضيح الحق.

ثالثاً: التعليم.

رابعاً: احتواء الخلاف الناشئ عن جهل أوغموض أو قصور فهم.

هذا وتتنوع أسباب الخلاف، فمنها ما يرجع إلى أسباب فقهية أو اجتماعية أو سياسية أو نفسية، ولعل أهمها ما يلي:

أولا: التعصب للرأي والهوى: فقد يؤمن الإنسان بفكرة معينة، فتسيطر على عقله وتمنعه من أن تصل إليه فكرة تناقضها أو خاطرة تنازعها، تهتاج أعصابه ويثور ثورته إذا هوجم فيها[١٩].

ثانياً: اختلاف الميزان في تقدير الأمور والحكم عليها.

ثالثاً: الإعجاب بالنفس.

رابعاً: غياب البعد الإيماني والإدراك السليم.

خامساً: الغفلة عن العواقب المترتبة على الاختلاف والتفرق.

سادساً: حب الدنيا.

سابعاً: الجهل وقلة العلم.

ثامناً: الفروق الفردية.

وإذا كانت داعية الحوار أصبحت من الأهمية بمكان، ولأجل أن يثمر الحوار ويحقق الأهداف المرجوة منه، ولتجنب ما قد ينتج عنه من آثار سيئة، كان لا بد من الالتزام بقواعده وآدابه، ولعل القواعد التي سنشير إليها هي قواعد عامة قد يشترك الحوار في بعضها مع أيّ عمل خير يقوم به المسلم، لكنها بالنسبة للحوار ركائز مهمة لا بد منها لضمان نجاح هذا العمل. ومن أهم هذه القواعد التي وردت في سياق آيات الحوار ما يلي:

١- **العلم:**

من أهم القواعد التي يجب أن يستند عليها الحوار، العلم بالشيء المتحاور فيه، ولئن كان الجدال مقبولا فيما كان للإنسان به علم، أو يدعي أن له به علم، فهو مرفوض فيما ليس للإنسان به علم ولا يملك عليه دليلا، فكيف إذا كان ناشئاً عن هوى أو رغبة في الجدل لذاته! لا شك أن جدالا ليس له سند من علم أو دليل ليس جديراً بالقبول. ﴿ **هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ** ﴾[٢٠]. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾[٢١].

٢- **الإخلاص والتجرد وحسن النية:**

في مقابل عناد الكفار وصلفهم في مواجهة الحق، يدعوهم القرآن إلى الإنصاف والتعقل والتحرر من الآبائية، التي يحاربون من أجلها: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا

١٩- المغامسي، **الحوار: آدابه وتطبيقاته**، ص ٣٩، نقلاً عن أبي زهرة، **تاريخ الجدل**، ص ١١.

٢٠- سورة آل عمران، الآية: ٦٦.

٢١- سورة الحج، الآية: ٨ و سورة لقمان، الآية: ٢٠.

بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[٢٢]. "هذه دعوة خالصة إلى منهج البحث عن الحق يعتمد على التجرد من الرواسب والغواشي والمؤثرات وعلى مراقبة الله وتقواه بعيداً عن الهوى بعيداً عن المصلحة بعيداً عن ملابسات الأرض بعيداً عن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب، فتبعد به عن الله، بعيداً عن التأثر بالتيارات السائدة في البيئة والمؤثرات الشائعة في الجماعة"[٢٣].

٣- طلب الدليل:

حينما يدّعي قوم من المشركين أمرا باطلا أو يزعم بعض أهل الكتاب أن لهم مزية على غيرهم، لا يفتأ القرآن الكريم يطالبهم بالدليل على دعواهم. فقد ادّعى الأولون أن مع الله آلهة وهم يعبدونها لتقرّبهم إلى الله زلفى فطالبهم القرآن بالدليل على صحة دعواهم تلك: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِىۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[٢٤]. ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٢٥].

وحينما زعم قوم من أهل الكتاب أنه لن يدخل الجنة إلا من كان من اليهود، وزعم آخرون أنه لن يدخلها إلا من كان من النصارى، طالبهم القرآن أن يأتوا بدليل على زعمهم هذا. ولأنهم لا يملكون دليلاً أبطل القرآن قولهم وأضرب عن جدلهم، "وقرر قاعدة لا توجد في غير القرآن من الكتب السماوية، وهي أنه لا يقبل من أحد قول لا دليل عليه، ولا يحكم لأحد بدعوى ينتحلها بغير برهان يؤيدها"[٢٦]. ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢٧].

٤- البعد عن التناقض:

يقرر القرآن أن الحوار لا يمكن أن يصل إلى مبتغاه إذا كان أحد الطرفين متناقضا مع نفسه، وساق لنا أمثلة من هذا التناقض، ففي آيات متتابعة في سورة البقرة، يحدثنا القرآن عجبا عن بني إسرائيل، ومن حديثه عنهم قوله: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾[٢٨]، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢٩]. ففي هذا الحوار تشير الآيات إلى تناقض الطرف المحاور؛ فسجّلت عليهم الآية الأولى أنهم يظاهرون حلفاءهم على بني جنسهم، حتى إذا أخذوهم أسرى فادوهم،

٢٢- سورة سبأ، الآية: ٤٦.

٢٣- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ٤/ ٢٩١٤ بتصرف.

٢٤- سورة الأنبياء، الآية: ٢٤.

٢٥- سورة النمل، الآية: ٦٤.

٢٦- رشيد رضا، **تفسير المنار**، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١/ ٤٢٥.

٢٧- سورة البقرة، الآيتان: ١١١- ١١٢.

٢٨- سورة البقرة، الآية: ٨٥.

٢٩- سورة البقرة، الآية: ٩١.

وسجّلت عليهم الثانية أنهم يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل الله، فما بالهم يكفرون بالقرآن الكريم وقد أنزله الله وهو الحق مصدق لما معهم؟ وما بالهم يقتلون الأنبياء وقد حرّم الله قتلهم؟! لا شك أنه تناقض عجيب لا مخرج منه إلا الاعتراف بالحق والرجوع إليه، وهو الهدف الذي يسعى إليه القرآن من هذا الحوار.

٥- إظهار الحق والبعد عن المكابرة:

إذا كان الهدف من الحوار الوصول إلى الحق، فمتى تبين الحق كان على الطرفين قبوله وإظهاره، فإن كتم الحق أو رفضه بعد تبينه، يشي بسوء النية وخبث الطوية، وهو أمر لا يجوز في الحوار الهادف. ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(٣٠).

فقد قصد هؤلاء من كتمانهم الحق وما يدخلونه عليه من لبس، إضلال الناس وإبعادهم عن الهدى، قال الله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾(٣١).

أما آداب الحوار فقد تناولها الباحثون بالتفصيل(٣٢)، ونشير إلى أهمها بإيجاز كما يلي:

- الإصغاء وحسن الاستماع.
- الابتعاد عن التعصب.
- الالتزام بالقول الحسن وتجنب منهج التحدي والإفحام.
- الالتزام بوقت محدد في الكلام.
- تقدير الخصم واحترامه وحسن الظن به، وعدم تصيد أخطائه أو تتبع عثراته بقصد التغلب عليه.
- التركيز على الفكرة لا على صاحبها.
- إنهاء الحوار بأدب ولباقة.

بالإضافة إلى ما سبق لا بد من تحديد الهدف من الحوار وفهم موضوعه والمحافظة عليه أثناء الحوار، لأن ذلك يحفظ الوقت والجهد ويعزز احترام الطرف الآخر. ولا بد أيضاً من التهيؤ النفسي والعقلي لحسن العرض وضبط النفس. كما يجب أن تراعى الجوانب النفسية والاقتصادية والصحية والعمرية والعلمية، ومراعاة الفروق الفردية والفئة العمرية، مع الاعتراف بأن الاختلاف في الطبيعة الإنسانية أمر وارد.

المبحث الرابع: الحوار في القرآن الكريم وأهدافه:

عرّف النحلاوي الحوار القرآني والنبوي بأنه: "كل نداء، أو خطاب، أو سؤال يوجّهه القرآن أو يحكيه، موجّها إلى منادى أو مخاطب أو مخاطبين، حول أمر مهم، أو يوجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه أو إلى المسلمين بقصد توجيههم، أو توجيه اهتمامهم إلى هذا الأمر أو إلى تحقيق هدف معين أو القيام بسلوك فكري أو اعتقادي أو اجتماعي أو أخلاقي أو تعبدي"(٣٣).

٣٠- سورة آل عمران، الآية: ٧١.

٣١- سورة آل عمران، الآية: ٦٩.

٣٢- انظر على سبيل المثال: صالح بن حميد، **أصول الحوار**، ص ٢٥، عبدالله الصقهان، محمد الشويعر، **قواعد ومبادئ الحوار الفعال**، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط ٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٣٩-٤١، المغامسي، **الحوار: آدابه وتطبيقاته**، ص ١٦٠-٢٠١.

٣٣- عبدالرحمن النحلاوي، **التربية بالحوار**، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٤.

وتتنوع أشكال الحوار القرآني وأصنافه بتنوع مقاصده.. ليواكب الحاجات الفطرية الإنسانية، فمنه الحوار الخطابي والحوار البرهاني والحوار التعليمي، وجاءت كلها لتربي جانبا من جوانب النفس وتنمي عاطفة أو أكثر من العواطف الربانية وتلبي حاجة أو أكثر من الحاجات الإنسانية أو الاجتماعية أو التشريعية أو النفسية عند الفرد أو المجتمع أو الدولة(٣٤).

وقد ورد ذكر الحوار بلفظه في آيتين من كتاب الله: الأولى في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾(٣٥). هما صاحبان أحدهما يتملكه الغرور والبطر فنسي المنعم وكفر نعمته، والآخر عبد صالح شاكر نعمة ربه، فعز على الأخير ما عليه الأول من كفر وبطر وأراد أن يقدم له النصيحة مذكراً إياه بضعفه ونعمة الله عليه وقدرته على زوال النعمة، فاستخدم في نصحه وسيلة الحوار لأنها أفضل الوسائل للإقناع. ويلمح في حوار العبد الصالح ـ والذي يبدو أنه الذي ابتدأ الحوار ـ الأدب واللين والترفق بصاحبه مع قوة الحجة والإخلاص في النصيحة والاعتزاز بإيمانه. وإن بدت نتيجة هذا الحوار سلبية لأول وهلة لغياب آداب الحوار وأصوله عند الطرف الآخر، لكن محصلتها النهائية كانت إيجابية، بدليل ما حكاه القرآن من ندم الصاحب المغرور على ما كان منه وتمنيه أن لو سمع نصيحة صاحبه ونظر إلى حاله ومآله. ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾(٣٦). قال السعدي: "ولا يستبعد من رحمة الله ولطفه أن صاحب هذه الجنة التي أحيط بها، تحسنت حاله ورزقه الله الإنابة إليه وراجع رشده وذهب تمرّده وطغيانه، بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه..."(٣٧). والثانية هي قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾(٣٨). امرأة من المسلمين وقعت في خلاف مع زوجها فجاءت تشتكيه إلى رسول الله وجعلت تراجعه الكلام(٣٩) ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾، أي حديثكما ومراجعتكما الكلام، ماذا قالت لك، وماذا رددت عليها(٤٠).

وقد دعا القرآن الكريم إلى الحوار كوسيلة لحل المشكلات، في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾(٤١). أي أنه قبل وقوع الشقاق يبادر حكمان من أهل الزوج والزوجة، يجتمعان في هدوء، بعيدين عن الانفعالات النفسية والرواسب الشعورية والملابسات المعيشية، التي كدّرت صفو العلاقات بين الزوجين، طليقين من المؤثرات التي تفسد جو الحياة وتعقد الأمور، وتبدو ـ لقربها من نفس الزوجين ـ كبيرة تغطي على كل العوامل الطيبة في حياتهما..."(٤٢).

٣٤- المصدر نفسه، ص ١٠-١١.

٣٥- سورة الكهف، الآية: ٣٧.

٣٦- سورة الكهف، الآية: ٤٢.

٣٧- عبدالرحمن السعدي، **تيسير القرآن الكريم**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٤٧٨.

٣٨- سورة المجادلة، الآية: ١.

٣٩- الزمخشري، **الكشاف**، ٦/ ٨٨.

٤٠- محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، ٣/ ٣٣٥.

٤١- سورة النساء، الآية: ٣٥.

٤٢- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ٢/ ٦٥٦.

ولأن الطبيعة البشرية ميالة للحوار والجدال، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾(٤٣)، فقد كان الحوار وسيلة دعوة الرسل أقوامهم إلى الله، يسجل الله لنا في سورة هود نماذج من الحوار الذي دار بين مجموعة من الرسل وأقوامهم بادئا بأولهم وهو نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٤٤). أي "قد خاصمتنا وحاججتنا فأكثرت جدالنا، واستقصيت فيه فلم تدع لنا حجة إلاّ دحضتها حتى مللنا وسئمنا ولم يبق عندنا شيء نقوله.."(٤٥). قال الرازي: "وهذا يدل على أن الجدال في تقرير الدلائل وفي إزالة الشبهات حرفة الأنبياء"(٤٦).

هذا وإن اقتضى الأمر الجدال فيكون بالحسنى، كما أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٤٧). أي "بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف"(٤٨). لأن النفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة وقيمته مكرّمة وأن المحاور لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء إليها، في سبيل الله لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر(٤٩).

والجدل بالحسنى هو أحد الأمور التي تشملها الحكمة التي أشارت إليها صدر الآية "ومن الحكمة الحوار بالعلم لا بالجهل، والبداء بالأهم فالأهم، وبالأقرب للأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، .."(٥٠).

ونظراً لأهميته تلك، وتعليما من الله لعباده، فقد استخدمه رب العزة جل وعلا بشكل معجز ومقنع في التخاطب مع خلقه كافة، الصالح منهم والطالح، إما لتوضيح أمر أو إقامة حجة فمثال الأول ما ذكره الله من حوار دار بينه وبين ملائكته في شأن خلق آدم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا

٤٣- سورة الكهف، الآية: ٥٤.

٤٤- سورة هود، الآيات: ٢٥- ٣٢.

٤٥- رشيد رضا، **تفسير المنار**، ١٢/ ٦٩.

٤٦- الرازي، **التفسير الكبير**، ٧/ ١٧٤.

٤٧- سورة النحل، الآية: ١٢٥.

٤٨- الزمخشري، **الكشاف**، ٣/ ١٦٧.

٤٩- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ٤/ ٢٢٠٢.

٥٠- السعدي، **تيسير القرآن الكريم**، ص ٤٥٢.

مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾(٥١). قال ابن عاشور في تفسير الآية: "وقول الله هذا موجّه إلى الملائكة على وجه الإخبار ليسوقهم إلى معرفة فضل الجنس الإنساني على وجه يزيل ما علم الله أنه في نفوسهم من سوء الظن بهذا الجنس، وليكون كالاستشارة لهم تكريما لهم فيكون تعليما في قالب تكريم، مثل إلقاء المعلم فائدة للتلميذ في صورة سؤال وجواب وليسنّ الاستشارة في الأمور، ولتنبيه الملائكة على ما دق وخفي من حكمة خلق آدم، كذا ذكر المفسرون.

وعندي ـ أي ابن عاشور ـ هاته الاستشارة جعلت لتكون حقيقة مقارنة في الوجود لخلق أول البشر حتى تكون ناموسا أشربته نفوس ذريته، لأن مقارنة شيء من الأحوال والمعاني لتكوين شيء ما، تؤثر تألفا بين ذلك الكائن وبين المقارن..."(٥٢).

إذن أراد الله من هذا التخاطب تعليم عباده مبدأ التشاور، والحوار وآدابه، وحينما خلصت النية من قبل الملائكة، وسلموا بالأمر الذي جهلوه، كانت نتيجة الحوار إيجابية. في المقابل عندما أضمر إبليس سوء النية كانت النتيجة سلبية تماما. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٥٣). فهو بسبب جهله وإعجابه بنفسه وتكبره واتباعه الهوى، وتمسّكه بفكرة "أنا خير منه"، فوّت على نفسه فائدة فرصة الحوار التي فتحت له، وواحدة من هذه الآفات كفيلة بتحويل المسار الإيجابي للحوار إلى مساره السلبي. ولذا حكم على إبليس بالشقاء الأبدي. على أن الهدف من هذا الحوار ـ وقد علم الله طبيعة إبليس ـ إظهار عناده وتكبره وجهله، وخبث طويته ثم إقامة الحجة عليه. قال الزمخشري: "فإن قلت لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه، قلت: للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم وأنه خالف أمر ربه معتقداً أنه غير واجب عليه لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب"(٥٤).

ومن الأمثلة على الحوار المقنع قوله تعالى محاوراً المشركين: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ

٥١- سورة البقرة، الآيات: ٣٠-٣٣.

٥٢- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ١/ ٣٨٦.

٥٣- سورة الأعراف، الآيات: ١١ - ١٨.

٥٤- الزمخشري، **الكشاف**، ٢/ ١٠٠.

تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[٥٥]. "فقد كان هؤلاء المشركون مضطربي العقيدة، لا ينكرون الله، ولا ينكرون أنه مالك السماوات والأرض، مدبر السماوات والأرض.. ولكنهم يشركون معه غيره، فهو هنا يأخذهم بمسلماتهم التي يقرون بها، ليصحح لهم ذلك الاضطراب في العقيدة، ويردهم إلى التوحيد الخالص الذي تقود إليه مسلّماتهم"[٥٦].

والقرآن الكريم مليء بالأمثلة لكل أشكال الحوار، منها حوار الله مع أصناف من خلقه، كالأنبياء والمؤمنين والمشركين وأهل الكتاب، وحوار الرسل مع أقوامهم، وأمثلة أخرى من حوار الخلق مع بعضهم بعضاً. ويجدر بالذكر أن القرآن حينما دعا إلى الحوار وحثّ عليه لم يحده بزمن أو بمكان بعينه أو حصره في فئة بعينها، بل أطلق في ذلك كله؛ فهو ممكن في أي بقعة من أرض الله، ومع أي من البشر الذين يعيشون على تلك الأرض، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

هذا ويختلف موضوع الحوار في القرآن الكريم وكيفيته، باختلاف الأهداف المنوط تحقيقها به. ويمكننا إيجاز الأهداف العامة من الحوار في القرآن الكريم فيما يلي:

١- تقرير العقيدة الصحيحة ودحض العقائد الفاسدة:

لن نعدو الحقيقة إذا قلنا إن رسالة الإسلام تتخلص في تقرير عقيدة التوحيد ودحض ما يخالفها من عقائد باطلة موروثة عن الآباء. لذلك أخذت هذا الهدف مساحة واسعة من آيات الحوار مع الكفار، سواء حوار الرب عز وجل مع هذه الفئة أم حوار الأنبياء مع أقوامهم. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى مجادلا المشركين: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[٥٧]، وفي سورة القصص يقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[٥٨]. قرر القرآن في حواره مع المشركين في هاتين الآيتين أن الله وحده الخالق والرازق، والمحيي والمميت، والضار والنافع، والمدبّر لأمر الكون كله، فإذا كانت هذه هي الحقيقة، فإن إشراكهم مع الله غيره، وعبادتهم سواه، هو الضلال بعينه، وليس بعد الحق من مذهب إلا مذاهب الضلال.

٢- تثبيت الإيمان وترسيخ مبدأ أو سلوك أو خلق: مثل عزة النفس، الصبر، الإخلاص:

هذه القضية لا تختص بالمشركين كالتي قبلها، ولكن طرف الحوار فيها فئة قد صدقت بربها وآمنت به، ولكنها تطلب مزيداً من الطمأنينة، أو تحتاج جرعة خاصة في ترسيخ مبدأ أو خلق. ويقع هذا النموذج ضمن إعداد الله للأمة المسلمة لحمل الأمانة والقيام بأعباء الخلافة في الأرض. ومن الأمثلة على ذلك الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه ا لسلام وربه عز وجل، غرضه أن يستشعر إبراهيم حلاوة الطمأنينة واليقين، فأجابه رب العزة إلى طلبه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ

٥٥- سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤-٨٩.

٥٦- انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ٤/ ٢٤٧٨ بتصرف.

٥٧- سورة يونس، الآيتان: ٣١-٣٢.

٥٨- سورة الزمر، الآية: ٣٨.

فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٥٩).

وبطريقة أخرى يقرر لنا حوار السيدة مريم مع زكريا حين دخل عليها المحراب، وقد وجد عندها رزقا، وحوارها مع الملك، وقد جاءها ليهب لها غلاما، أن الله هو الخالق ويكون ذلك بسبب ومن غير سبب، وأنه الرازق وقد يكون ذلك بسبب ومن غير سبب(٦٠).

يمكننا أن نعد من هذا القبيل أيضاً ما دار من حوار بين موسى وربه تعالى، حينما طلب منه قومه أن يريهم الله جهرة، فسأل موسى ربه الرؤية، ولم يعنف موسى على سؤاله رغم أن ذلك من الأمور المستحيلة، وإنما أجيب بما يمكن أن يكون قاعدة له ولمن بعده، حتى لا يجرؤ أحد بعد ذلك على طلب مشابه. ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٦١).

٣- كشف الباطل وإلزام الخصم الحجة قطعا للأعذار:

لقد سنّ ربنا تبارك وتعالى، وكذلك كان دأب رسله الكرام عليهم السلام في حوارهم مع المشركين، أن يأخذوهم بالمسلمات حتى إذا أخرستهم الحجة انقطعت أعذارهم، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام في حواره مع قومه: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾(٦٢). قال أبو السعود: "اعترفوا بأنها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة، واضطروا إلى إظهار أن لا سند لهم سوى التقليد"(٦٣).

وينقل لنا القرآن حواراً يدور بين خزنة النار والكفار ما نصه: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(٦٤). قال الإمام الرازي: "واعلم أن قوله: ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا ﴾ اعتراف منهم بعدل الله، وإقرار بأن الله أزاح عللهم ببعثة الرسل، لكنهم كذبوا الرسل وقالوا: ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾"(٦٥).

٤- الجواب عن سؤال والردّ على استفسار:

يشكل هذا النوع نسبة كبيرة من آيات الحوار في السور المكية والمدنية على السواء، وقد حكى القرآن أنواعا من الأسئلة من مختلف طوائف البشر، المؤمنين منهم والكفار؛ فالمؤمنون يسألون عن أحكام الدين التي

٥٩- سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

٦٠- انظر سورة آل عمران: آية ٣٧، وسورة مريم، الآيات ١٧-٢١.

٦١- سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

٦٢- سورة الشعراء، الآيات: ٦٩-٧٧.

٦٣- أبو السعود العمادي، **إرشاد العقل السليم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٦/ ٢٤٨.

٦٤- سورة الملك، الآية: ٨-١١.

٦٥- الرازي، **مفاتيح الغيب**، ٣٠/ ٥٧.

تهمهم فيأتي الرد بحكم الشيء المسئول عنه، مثل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾(٦٦)، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾(٦٧). أما الكفار فسؤالهم أكثر ما يكون استخفافاً وإنكاراً، كقول الله حكاية عنهم: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾(٦٨).

علاج لمرض نفسي أو اجتماعي أو خلقي. ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما سجّله القرآن الكريم من حوار نبي الله موسى عليه السلام مع قومه حينما أمرهم بذبح البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾(٦٩).

قال ابن عاشور: "وبذلك يعلم أن أمرهم بهاته الصفات كلها هو تشريع طارئ قصد منه تأديبهم على سؤالهم، فإن كان سؤالهم للمطل والتنصل فطلب تلك الصفات المشقة عليهم تأديب على سوء الخلق والتذرع للعصيان، وإن كان سؤالا ناشئاً عن ظنهم أن الاهتمام بهاته البقرة يقتضي أن يراد منها صفات نادرة كما هو ظاهر قولهم بعد ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ فتكليفهم بهاته الصفات العسير وجودها مجتمعة تأديب علمي على سوء فهمهم في التشريع كما يؤدب طالب العلم إذا سأل سؤالا لا يليق برتبته في العلم. وقد قال عمر لأبي عبيدة في واقعة الفرار من الطاعون "لو غيرك قالها يا أبا عبيدة"(٧٠).

المبحث الخامس: طريقة الحوار وأهميتها في التعليم:

الطريقة الحوارية: معناه تعليم الناشئ عن طريق التجاوب معه، بعد تحضير الأسئلة تحضيراً يجعل كل سؤال يبنى على الجواب المأخوذ من المتعلم، على نحو يجعل المتعلم يشعر في نفسه بأن النتائج التي توصل إليه ليست جديدة عليه(٧١).

يذكر أن أول من استخدم الطريقة الحوارية هو الفيلسوف اليوناني القديم سقراط (٣٩٩ ق.م)، ثم طورها المسلمون، ووضعوا قواعدها وآدابها، واستخدموها كطريقة للتدريس، واستنباط الأحكام، والبرهنة على العقائد والأحكام. وكان العلماء المسلمون يشجعون طلبتهم على الحوار والمناقشة والمناظرة، ولا يرون أي عيب في أن يخالف الطالب أستاذه في الرأي، طالما كان ذلك في حدود الأدب والاحترام. وكان لهذه الطريقة فضل كبير على ترقية الفكر، وتنمية العقول، وتوسيع آفاقها، وعلى شحذ الذهن، وتقوية الحجة، والتمرن على سرعة البديهة والتعبير، وتعويد المتحاورين الثقة بالنفس والقدرة على الارتجال، وكثير من العلوم الإسلامية تدين في نموها

٦٦- سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

٦٧- سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

٦٨- سورة يونس، الآية: ٥٣.

٦٩- سورة البقرة، الآيات: ٦٧-٧١.

٧٠- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ١/ ٥٣٤ .

٧١- النحلاوي، **التربية بالحوار**، ص ١٣.

وتطورها وازدهارها لهذه الطريقة.."[٧٢].

يعتمد هذا الحوار على إلقاء مجموعة من الأسئلة المتسلسلة المترابطة على الطلاب بحيث توصل عقولهم إلى المعلومات الجديدة بعد أن يكتشفوا نقصهم أو خطأهم بأنفسهم ...وتقوم هذه الطريقة من خلال مرحلتين[٧٣]:

المرحلة الأولى: مرحلة الاستكشاف:

يتم في هذه المرحلة إلقاء مجموعة من الأسئلة من المعلم، هدفها معرفة ما بذهن الطالب من معلومات عن الدرس الجديد، واكتشاف النقص والخطأ في هذه المعلومات. ولكن في هذه المرحلة يصل المدرس إلى حقيقة ثابتة هي أن هذه المعلومات التي عند الطالب هي خاطئة وغير صحيحة، ولكن لا يتم في هذه المرحلة تصحيح الأخطاء، ويتم إثبات عجز الطالب عن كشف الحقيقة وحثّه على طلب المعرفة الصحيحة.

المرحلة الثانية: مرحلة الاسترشاد:

بعد أن يعرف الطلبة من خلال المدرس أن ما في حوزتهم من معلومات أنه خطأ، تزداد رغبتهم في معرفة المعلومات الصحيحة، وهنا يستدرجهم المعلم حتى يصل بهم من خلال الحوار إلى المعلومات الصحيحة والصواب والمعرفة السليمة، ومهم في هذه المرحلة أن لا يلقى المعلم المعلومات الصحيحة على التلاميذ، بل يجعلهم بالسؤال والجواب يتوصلون إلى الحقيقة اعتماداً على أنفسهم . ولتكون القضية أكثر وضوحا، نسوق المثال التطبيقي التالي:

أراد معلم التربية الإسلامية أن يطرح على طلابه درس "القضاء والقدر"، فكان الحوار التالي:

المعلم: لعلكم سمعتم يا أبنائي أن زميلكم (فلان) أصيب يوم أمس في حادث سيارة، فماذا نسمي في عقيدتنا الإسلامية ما يقع للإنسان من هذه الأحداث؟

الطالب (س): نسميه القضاء والقدر يا أستاذ.

الأستاذ: أحسنت، فما معنى القضاء والقدر؟

الطالب (ص): هو ما يصيب الإنسان من مصائب أو أحداث وليس له عنها مهربا.

الأستاذ: بارك الله فيك، وهل يحاسب الإنسان على ما يقع من ذلك إن كان بسبب تقصيره؟

الطالب (ع): لا يحاسب، لأن القدر نازل لا محالة، والإنسان لا يملك من أمره شيئاً، وما علينا إلا الرضا والتسليم.

الأستاذ: هل توافقون زميلكم على ذلك؟

الطلاب كلهم: نعم، القدر نازل لا مهرب منه، وما علينا إلا الرضا والتسليم.

الأستاذ: ما رأيكم إذن فيمن يتجاوز الحد الأقصى في السرعة ثم يتسبب في وقوع حادث يذهب ضحيته عدد من الأشخاص، ألا يعد مثل هذا مخطئا؟ وهذا الذي يقتل إنسانا متعمداً ألا يعد مرتكبا جرما كبيرا؟ وهل يمكن أن ينجو هؤلاء وأمثالهم من العقوبة بحجة القضاء والقدر؟

الطلاب: لا بد أن يعاقبوا على فعلتهم.

الأستاذ: نحن إذن محاسبون على تقصيرنا، لأننا كثيراً ما نكون السبب فيما يصيبنا، صحيح أن كل ذلك بقضاء

٧٢- عمر محمد التومي الشيباني، **فلسفة التربية الإسلامية**، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ط ٤، ١٣٩٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٤١٦

٧٣- انظر: عمر عبدالله شلح، **الطريقة الحوارية في التعليم**، دراسة بإشراف محمد حمدان، جامعة الأقصى، منشورة على موقع alshamsi.net .

وقدر، ولكن الله أعطى الإنسان الحرية والاختيار، وقدر الله يتحقق بأفعال الإنسان نفسه وباختياره ولذلك يحاسب على تقصيره.

نلاحظ أن المعلم استطاع بأسئلة متتابعة أن يستكشف المعلومات التي عند الطلاب عن القضاء والقدر، ثم بالطريقة نفسها استطاع أن يغير المفهوم الخطأ عن القضاء والقدر، إذ ترك للطلاب أنفسهم معرفة الخطأ والتوصل إلى الجواب الصحيح.

والحق أن الحوار يعد من أحسن الوسائل الموصلة إلى الإقناع وتغيير الاتجاه الذي قد يدفع إلى تعديل السلوك إلى الأفضل، لأن الحوار ترويض للنفوس على قبول النقد واحترام آراء الآخرين. وتتجلى أهميته في دعم النمو النفسي والتخفيف من مشاعر الكبت وتحرير النفس من الصراعات والمشاعر العدائية والمخاوف والقلق، فأهميته تكمن في أنه وسيلة بنائية علاجية تساعد في حل كثير من المشكلات. ويمكن تلخيص أهمية الحوار في عملية التدريس كما يلي(٧٤):

- يساعد على التفاعل بين المعلم والتلاميذ، بحيث يتخلص المعلم من دوره القائم على المركزية والتلقين، ويصبح منظما للعملية التعليمية.
- يساعد على تأمين التواصل وتبادل الآراء و الأفكار ونقلها بين المعلم والمتعلم، مما يعين على تحسين مستوى المتعلمين.
- يزيد من حيوية المتعلم في الموقف التعليمي ويحرره من حالة الصمت والسلبية.
- يعطي المتعلم الفرصة للتعبير عن قدراتهم المعرفية والإبداعية.
- يساعد على اكتساب مهارات الاتصال والتفاعل وخاصة مهارات الحديث والكلام والتعبير وإدارة الحوار(٧٥).
- يسهم في تحريك قدرات الطلاب العقلية وقدح فطنتهم وإكسابهم المعلومات والأفكار والاتجاهات والقيم في قالب مقنع مناسب(٧٦).
- يسمو بالصلات بين المعلم والمتعلم ويحقق لهم الدافعية والإنجاز معاً ويعطي التلاميذ إحساسا بتقبل المعلمين لهم ولآرائهم وأفكارهم(٧٧).

ولعل أوضح مثال على الحوار التعليمي في القرآن الكريم ما ذكرناه في بداية البحث من حوار الله مع الملائكة بشأن خلق آدم، وفيه أن الله تبارك وتعالى أراد أن يعلّم الملائكة عن طريق الحوار الحكمة من خلق البشر، ولما كانوا يجهلون ما علّمه الله من حكمته سألوا سؤال مستفهم مستعلم، فأجيبوا عن ذلك بطريق عملي.

وأحياناً يأتي السؤال من الطالب حينما يشعر بحاجة ليفهم ما يقوم به المعلم مما لا يستوعبه عقله، حتى إذا

٧٤- انظر: الخوالدة، **طرائق تدريس التربية الإسلامية**، دار حنين، عمان، مكتبة الفلاح، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٣١٦، المغامسي، **الحوار: آدابه وتطبيقاته**، ص ٢٣١-٢٣٣.

٧٥- المغامسي، **الحوار: آدابه وتطبيقاته**، ص ٢٣٢ نقلاً عن عايش زيتون، **أساليب التدريس الجامعي**، ص ١٨٢.

٧٦- المغامسي، **الحوار: آدابه وتطبيقاته**، ص ٢٣٣ نقلاً عن علي راشد، **شخصية المعلم وأداؤه في ضوء التوجيهات الإسلامية**، ص ٤٣.

٧٧- المغامسي، **الحوار: آدابه وتطبيقاته**، ص ٢٣١، نقلا عن عبد الباري محمد داؤد، **التدريس وإعداد المعلم**، ص ١٦٦.

ما وضحت الصورة لدى الطالب رسخت في ذهنه المعلومة. كما في حوار موسى مع العبد الصالح. فقد أثارت أفعال العبد الصالح إنكار موسى واستهجانه لأفعال معلمه فاندفع للسؤال إذ لم يدرك أبعاد الفعل ومراميه، رغم أن العبد الصالح اشترط عليه سلفا أن لا يسأله عن شيء يراه حتى يبين له الحكمة من فعله. على أن المعلم لم يترك تلميذه فريسة للحيرة والاضطراب النفسي، فأجابه في نهاية الدرس عن كل سؤال طرحه وبين له الحكمة الكامنة وراء أفعاله، مراعياً الترتيب في التعليل، حتى اطمأنت نفسه وسكن بلباله.

وربما كان الطالب يريد التأكد من المعلومة والاطمئنان إلى أنها صحيحة، فيبادر بالسؤال، فيجاب عنها بما يملأ قلبه يقينا، كما سأل إبراهيم ربه عن كيفية إحياء الموتى، فهو عليه السلام يؤمن يقينا بأن الله هو المحيي والمميت ولكنه أحب الاطلاع على الكيفية، فأجيب إلى ذلك.

والملاحظ أن العملية التعليمية في القصة السابقة كانت مصحوبة بالتجربة العملية، كما هو الحال أيضاً في قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، فتساءل عن كيفية إحياء الله لها بعد موتها، فلم يقل له كيف. إنما أراه الله في عالم الواقع كيف!. "إذ المشاعر والتأثرات تكون أحياناً من العنف والعمق بحيث لا تعالج بالبرهان العقلي ولا حتى بالمنطق الوجداني، ... إنما يكون العلاج بالتجربة الشخصية الذاتية المباشرة، التي يمتلئ بها الحس، ويطمئن بها القلب دون كلام"(٧٨).

ومن التعليم بالحوار، ظاهرة السؤال التي تعددت في القرآن الكريم، "فقد جاء في أربعمائة وأربعة عشر موضعا، أي ما يعادل نصف التراكيب المكونة للغة الحوار في القرآن الكريم. ولا تخفى الطاقة الإثارية والتأثيرية التي يفجرها السؤال، فهو وعاء لغوي تفرغ فيه الأطراف المتحاورة مشاعرها وانفعالاتها مبرزاً حضوره الأكبر في إنتاج دلالات النص وتقديم حيثيات المضامين الحوارية"(٧٩).

وقد ذكرنا فيما مضى أمثلة من ذلك، وما يهمنا هنا هو الحوار التعليمي، ومثاله من القرآن: السؤال عن البعث في سورة النبأ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾(٨٠).

في هذه الآيات جاء التعريف بالموضوع تعريفا يثير الدهشة، ويزيد في الشوق إلى المعرفة، ثم يأتي بالأدلة على ذلك الذي يرتابون فيه، في صيغة سؤالهم عنها وهم يرونها حولهم، أو يعرفونها من أنفسهم: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا..﴾(٨١)، وبعد أن يدلل بهذه الحجج والبراهين، بأسلوب حواري على البعث والحساب، يعرّف المخاطبين بصفات وتفاصيل ذلك النبأ العظيم: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا..﴾(٨٢)(٨٣).

وقد وردت طريقة التعليم بالحوار بشكل أوسع في السنة النبوية، واستخدمها النبي عليه السلام في تعليم أصحابه وإرشادهم، ولفت انتباهم وتشويقهم إلى الجواب، وحضّهم على إعمال الفكر، ليكون جواب النبي صلى الله

٧٨- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ١/ ٣٠٠.

٧٩- فوز نزال، **لغة الحوار في القرآن الكريم**، دار الجوهرة، عمان، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٩٩-١٠٠.

٨٠- سورة النبأ، الآية: ١-٣.

٨١- سورة النبأ، الآية: ٦-٧.

٨٢- سورة النبأ، الآيتان: ١٧-١٨.

٨٣- انظر: النحلاوي، **التربية بالحوار**، ص ١٢٩-١٣٢.

عليه وسلم ـ إذا لم يستطيعوا الإجابة ـ أقرب إلى الفهم وأوقع في النفس(٨٤).

روى البخاري ومسلم، واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس(٨٥).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار"(٨٦).

ففي الحديث الأول أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرب لأصحابه فهم الأثر الناتج عن أداء الصلوات الخمس في جماعة، فأثار أذهانهم بسؤال عن أمر حسي يلمسونه ويعرفون أثره، وهو الاغتسال من نهر جار خمس مرات كل يوم. ولا شك أن هذه الصورة قد عرفتها أذهانهم وألفتها، لكن لم السؤال؟ فجاءهم الجواب أن ما يفعله النهر حسيا تفعله الصلاة معنويا من تطهير باطن الإنسان من كل الأقذار والأرجاس المعنوية.

أما الحديث الثاني: فالصحابة رضي الله عنهم يعرفون معنى واحداً للإفلاس، وهو الخلو من المال والمتاع، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يوقظ أذهانهم إلى معنى آخر هو في الحقيقة أخطر من الأول وهو الإفلاس يوم القيامة. ولو ألقى النبي عليه السلام هذه الفكرة دون إثارة الذهن بطريق الحوار لما التفتت إليها الأذهان ووعتها الأسماع ورسخت في العقول كرسوخها بالمحاورة. ومن أشهر أمثلة الحوار حديث جبريل في تعليم أركان الدين، حيث أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فطرح عليه عدداً من الأسئلة عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة ثم انصرف فأخبر النبي أصحابه: "إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"(٨٧).

وقد يستخدم النبي صلى الله عليه وسلم الحوار وسيلة للإقناع، فقد أخرج أحمد واللفظ له والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه: "أن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يارسول الله، ائذن لي في الزنا، فأقبل عليه القوم فزجروه، وقالوا: مه مه. فقال صلى الله عليه وسلم: ادنه، فدنا قريبا منه فجلس، فقال صلى الله عليه وسلم له: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله يارسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا،والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني

٨٤- انظر: أبو غدة عبدالفتاح، **الرسول المعلم**، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٩٢-٩٩.

٨٥- أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم ٤٩٧، وأخرجه مسلم في **الصحيح** كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، رقم: ١٠٧١، والكتابان منشوران على موقع: (www.al-islam.com) التابع لوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

٨٦- **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم: ٢٥٨١.

٨٧- **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب إن الله عنده علم الساعة، رقم: ٤٤٩٩، **صحيح مسلم**، أول كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام، رقم: ٨، ٩.

الله فداك، قال: ولا الناس يجبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء"(٨٨).

واعتمد عليها، بعد النبي صلى الله عليه وسلم، علماء المسلمين في تعليمهم وإرشادهم لمخالفيهم، فكان الحسن البصري ممن يكثرون من استعمال هذه الطريقة، واعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن بعد مناقشات دارت بينهما. وحاور الإمام جابر بن زيد الخوارج في استحلالهم دماء المسلمين، وحاور أبو عبيدة واصل بن عطاء في القدر(٨٩). كما ناقش غيلان الدمشقي وأتباعه حول مسألة أن الإنسان يخلق أعماله(٩٠). وخالفه، أي أبا عبيدة، بعض تلاميذه في مسائل كان رأيهم فيها يخالف رأي شيخهم(٩١). وسار على نهجه خلفه الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي، فجرت بينه وبين مخالفيه من النكار مناقشات حول مسائل اختلفوا فيها(٩٢). وكان الإمام أبو حنيفة يعتمد على المناقشة في تعليمه واستخراج أحكامه، ويتيح لطلابه وأصحابه من حرية الرأي ما يجعل كُلاًّ منهم يبدي ما في نفسه، وكانت طريقته في ذلك أن يعرض عليهم المسألة، فكل يبدي ما عنده في حكمها، فإذا اتفقوا على شيء أمر أحد تلاميذه أن يكتبه، وكذلك كان الإمام مالك(٩٣).

ولم تكن طريقة الحوار والمناقشة حكراً على الرجال بل كانت النساء يشاركن الرجال في ذلك. فقد نقلت لنا كتب السير عن جمع من النساء كن يحاورن أساتذتهن في مسائل الفقه، منهن أمهات المؤمنين، وصحابيات أخريات كأم سليم الأنصارية وغيرها من الصحابيات(٩٤)، وقد كن قدوة للمؤمنات بعدهن، من ذلك ما ذكره الوسياني في السير أن عايشة بنت معاذ (إحدى نساء آجلو بالجزائر، في القرن الخامس الهجري)، كانت تناقش كبار علماء الكلام في أدق المسائل(٩٥)، وحكى أيضاً أن سرغينت الوريورية، (من جبل نفوسة بليبيا، في القرن الخامس الهجري)، كانت تسأل العزابة وتناقشهم في فتاواهم، وبية بنت بوكر (ت: ١٣٩٠هـ)، لازمت الشيخين: إبراهيم بيوض وإبراهيم أبا اليقضان، تحضر مجالسهما وتستفتيهما، وتحاورهما في مسائل الفقه(٩٦)، وغيرهن كثير.

وظلت هذه الطريقة من سمات الثقافة العربية والإسلامية، وقد انتقد ابن خلدون ما طرأ عليها من ضعف كان سببا في ضعف الملكة العلمية فقال: "وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل

٨٨- أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، باقي مسند الأنصار، رقم الحديث: ٢١١٨٥، منشور على موقع: (www.al-islam.com) التابع لوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

٨٩- علي يحيى معمر، **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة الأولى، ط ٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ٦٨-٦٩.

٩٠- عمرو خليفة النامي، **دراسات عن الإباضية**، ترجمة: ميخائيل خوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ص ١٦٩.

٩١- انظر: علي يحيى معمر، **الإباضية مذهب إسلامي معتدل**، تقديم وتعليق: أحمد السيابي، مطبعة الألوان الحديثة، روي، سلطنة عمان، ١٩٨٨م، ص ٤٢، النامي، **دراسات عن الإباضية**، ص ١٤٣-١٤٤.

٩٢- النامي، **دراسات عن الإباضية**، ص ١٧٩.

٩٣- عمر محمد الشيباني، **فلسفة التربية الإسلامية**، ص ٤١٩.

٩٤- انظر على سبيل المثال: عبدالله بن حميد السالمي، **شرح الجامع الصحيح**، مكتبة الاستقامة، روي، سلطنة عمان، ١/ ١٨٩، ٤٠٢-٤١٠.

٩٥- سلطان بن مبارك الشيباني، **معجم النساء العمانيات**، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عمان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٢٧.

٩٦- المرجع السابق، ص ٢١، ٨٢، نقلاً عن الوسياني، **السير**، ٢: ١٦٢، ومحمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ١: ٢٣٢.

العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها، فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم. ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو علم. وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك"(٩٧).

المبحث السادس: حوار الآباء مع الأبناء وآثاره التربوية:

تقوم الأسرة في الإسلام على المودة والرحمة: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٩٨). هذه المودة والرحمة ليست بين الزوجين فحسب، بل يجب أن تعم الأسرة كلها ويتفيأ ظلالها جميع أفرادها. والأبناء هم الهدف الأول لهذا الزواج، وهم الثمرة الطبيعية لهذه العلاقة الشريفة وهذا الرباط المقدس. وهم أمانة لدى الأبوين لا بد لهما من رعايتها والقيام بحقها. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٩٩). ولا يتم ذلك إلا بتربيتهم تربية صالحة متوازنة تراعي جميع حاجاتهم الجسدية والنفسية والروحية والخلقية وغيرها. ومن أجل بلوغ هذا الهدف لابد للآباء من خلق جو من الثقة والألفة والصداقة بينهم وبين أبنائهم، ليكون ذلك أدعى للاستجابة لأمرهم وتقبل نصائحهم والعمل بإرشاداتهم. وليس من وسيلة تعين على خلق التفاهم والألفة بين الأبناء والآباء أفضل من الحوار.

لا شك أن حوار الآباء مع أبنائهم يعد من أهم الطرق لتعليمهم وتهذيبهم، وتربيتهم على الأخذ والعطاء، ولما كانت هذه واحدة من النتائج التي نفيدها من طريقة القرآن في هذا الجانب، كان حريا بنا أن نشير إليها ولو بإيجاز.

ساق لنا القرآن الكريم أمثلة من حوارات بين الآباء وأبنائهم، ومن أشهر الأمثلة على ذلك ما حكاه الله في كتابه من حوار لطيف دار بين نوح عليه السلام وابنه محاولا إنقاذه من هلاك محتوم، قال تعالى: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾(١٠٠).

وعندما ينعكس الموقف وتنقلب الأمور ويكون الابن هو المعني بإرشاد أبيه وهدايته، يكون الحوار أيضاً هو الوسيلة المثلى لهذه الغاية، فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، يحاور أباه، ويقدم له الحجة تلو الأخرى، مبينا له زيف معتقده، وخطورة مآله ومنقلبه، قال الله في سورة مريم ذاكراً لنا ذلك الحوار الرقيق الذي بدأه إبراهيم عليه السلام بكلمات تفيض عذوبة وحنانا وشفقة، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ

٩٧- عمر محمد الشيباني، **فلسفة التربية الإسلامية**، ص ٤١٩، نقلاً عن ابن خلدون في **المقدمة**.

٩٨- سورة الروم، الآية: ٢١.

٩٩- سورة التحريم، الآية: ٦.

١٠٠- سورة هود، الآيتان: ٤٢-٤٣.

صِرَطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾(١٠١).

هذه نماذج من حوار الآباء مع الأبناء أراد الله بذكرها ضرب الأمثلة لنا وتذكيرنا بأن الحوار وسيلة تربوية مهمة يجب على المربي عدم إغفالها، وإن علمنا ابتداء أن الطرف الآخر متعنّت رافض للفكرة، فكيف بمن هو غير ذلك.

ويجدر بنا أن لا نغفل ذلك الحوار الهادف الذي استخدمه الحكيم لقمان في إرشاد ابنه إلى الخير، وتعليمه أصول الدين والأخلاق ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ... ﴾(١٠٢). هذا الحوار فيه من التحبب والتلطف والشفقة وحب الخير للولد، ما يجعل الولد قريبا من أبيه أولا، ثم يسارع، عن رضى وقناعة، إلى فعل ما يرشده إليه ويأمره بفعله، ويترك ما ينهاه عنه.

لا شك أن للحوار مع الأبناء فوائد كبيرة تعود على الآباء والأبناء جميعا، ويمكن تلخيص هذه الفوائد كما يلي:

- يقوي العلاقة بين الوالدين والأولاد، لتقوم على المودة والاحترام لا على الرهبة والقهر.
- ينمي في الأولاد الجرأة ويعزز فيهم ثقتهم بأنفسهم وينمّي استقلاليتهم، ويشجعهم على اتخاذ قراراتهم بأنفسهم.
- يدرب الأولاد على تقبل الاختلاف مع الآخرين وأن ذلك لا يُعدّ تهديداً لهم.
- ينمّي المبادرة والمنافسة، وحب الاكتشاف فهو تنمية للروح الاجتماعية حيث يساعد في التغلب على الخوف الاجتماعي والخجل، ويعطي مناعة ضد ذلك مستقبلا.
- يظهِر الحوار، للآباء والمعلمين والمرشدين بشكل صريح أو بشكل إسقاطي، ما يعانيه الأولاد من مشاعر عدائية أو قلق أو خوف أو صراعات نفسية وإحباطات وكبت، وهذه فرصة يجب أن تنتهز لعلاج تلك المشكلات ودعم النمو الانفعالي واستنطاق المشاعر والتنفيس ومن ثمّ العلاج.
- يساعد الأولاد على تصحيح أخطائهم بأنفسهم بالاقتناع نتيجة.
- يعلم الأولاد مبدأ احترام الآخر، وتقبل الرأي المخالف والتعامل معه بأدب وجدية.
- يساعد على رفع مستوى التحصيل الدراسي حيث يفرغ كثيراً من المكبوتات كما أن ما يسقطه من فلتات اللسان قد يوظف إرشاديا مما يدعّم التحصيل الدراسي إيجابيا.
- يساعد الأولاد على انتقاء الأصدقاء الصالحين، والبعد عن أهل الشر والفساد والانحراف.
- ينمي في الأولاد الشجاعة النفسية في تقبل الحق عند ظهوره، وعدم المكابرة والعناد.

الخلاصة:

ناقش البحث ثقافة الحوار ودور القرآن الكريم في ترسيخها، وطريقة التعليم بالحوار وأثرها التربوي،

١٠١- سورة مريم، الآيات: ٤١-٤٨.

١٠٢- سورة لقمان، الآيات: ١٣-١٩.

ويمكن للباحث أن يستخلص من خلال ذلك النقاط التالية:

أولاً: الاختلاف فطرة إنسانية، بحكم الفروق الفردية بين البشر، وهو كذلك ضرورة الحياة لا غنى عنها لعمارة الكون واستمرار الحياة، والنفس البشرية بطبيعتها ميالة إلى الجدل والنقاش، "وكان الإنسان أكثر شيء جدلا". وعليه فإن الحوار تظهر ثمراته في التقريب بين وجهات النظر واحتواء الخلاف، وبالتالي تفادي الشقاق والنزاع والفرقة بين الأمة الواحدة.

ثانياً: العلم والتجرد من الهوى، والإخلاص وحسن النية، قواعد لا بد منها ليثمر الحوار ويحقق أهدافه، كما هو في حوار الله مع الملائكة، وإذا فقد بعض هذه القواعد فلا أثر للحوار إلا إقامة الحجة على الخصم.

ثالثاً: لا يجوز ترك الحوار بحجة فساد الطرف الآخر، فالقرآن الكريم حاور المشركين وهم أعداء الله مع صلفهم وشدة عنادهم وبعدهم عن الحق، بل ذهب أبعد من هذا في حواره مع إبليس، مع قطع الأمل من استجابته أو رجوعه عن كفره.

رابعاً: الأنبياء عليهم السلام هم أكثر المصلحين استخداماً للحوار مع أقوامهم، وهذا ما يدفع المصلحين في كل زمان أن يجعلوا الحوار أولى وسائل الاتصال والتفاهم مع الآخرين.

خامساً: ورود طريقة التعليم بالحوار بكثرة في السنة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دليل واضح على أهميتها وأثرها التربوي على المتعلم.

سادساً: يجب أن يكون من أوليات الآباء والمربّين، غرس ثقافة الحوار في الناشئة، ليفسح لهم مجال التفكير والإبداع أولا، ويدرّبهم على قبول رأي الآخر ثانيا، وهذا يجنبهم كثيراً من المشكلات الناجمة عن الاختلاف وسوء الفهم.

****